مسقط في الوثائق الروسية المنشورة حتى عام ١٩١٤

ا.د.صبري فالح الحمدي

الجامعة المستنصرية / كلية التربية

-مدخل تاريخي:

ستحاول الدراسة البحث فيما احتوته المصادر الروسية، لاسيما الوثائقية منها من ذكر مسقط في سجلاتها التأريخية التي ضمت سنوات كثيرة من التاريخ الحديث، ومحاولة رصد ومتابعة ما دونه الرحالة والبحارة الروس، فضلا عن القناصل وعلماء الطبيعة من معلومات تتصل بمسقط من النواحي الجغرافية والتجارية واوضاعها السياسية، في مرحلة تأريخية تميزت في وجود تنافس بين بريطانيا والدولة العثمانية على الخليج العربي، وآخر بين الاولى وكل من روسيا والمانيا في محاولة كل طرف مد نفوذه على حساب الطرف الآخر.

واذا كانت الدراسات الاكاديمية التي تناولت تأريخ عمان الحديث والمعاصر قد اعتمدت في الغالب على مصادر محلية وعربية وبريطانية، فان محاولتنا البحثية المتواضعة ستكشف لنا بعض ما ورد بشأن مسقط في رحلات السفن الروسية وما شاهده قباطنتها من ظواهر تتعلق بجوانب تتعلق بتجارة المنطقة، ودور مسقط في نشاطها الاقتصادي، واوضاع سكانها المعيشية والاجتماعية، ربما ستكون معلوماتها ذات نكهة تختلف عن غيرها، لاسباب سنجد الاجابة عنها في ثنايا هذه الدراسة، وستتابع صفحاتها ردود فعل العمانيون من تردد الروس في اختلاف مهامهم على مسقط، وما لمسوه من مظاهر على وجوه السكان، وهل انهم كانوا راضين ومرحبين بزيارات الروس الى بلادهم؟

ولعل من اهداف الدراسة محاولة الاطلاع على ما تضمنته المراسلات المحفوظة بالارشيف التأريخي في بطرسبرج، فضلا عن الوثائق ذات العلاقة بارشيف السياسة الخارجية لروسيا في موسكو، التي تضم الاضابير المحتوية على الاتصالات بين القناصل الروس في مسقط وبوشهر ووزارة الخارجية، ويتولى البحث في بعض صفحاته التحري في الملفات التأريخية الخاصة بنشاط مسقط وسكانها التجاري وتبادلهم البضائع مع الروس

الوافدين الذين كانت سفنهم تحمل بضائع متنوعة، وربما سنجد ارقاما عن حجم المبادلات التجارية ونوعية البضائع المحملة على ظهر تلك السفينة واقيامها المالية، وهو الامر الذي ستفضي إليه الدراسة بتسليط الضوء على جوانب عدة من تاريخ مسقط السياسي المتعلق باوضاعها الداخلية وعلاقاتها الخارجية، لاسيما في فترة حكم السلطان فيصل بن تركي، ومعرفة طبيعة السياسة التي اتبعها في التعامل مع بريطانيا وروسيا في تلك المدة من تاريخ بلاده والتي استمرت حتى قبيل اندلاع الحرب العالمية الاولى.

-مسقط في الوثائق الروسية المنشورة حتى عام ١٩١٤:

جذبت مسقط بحكم موقعها في مدخل الخليج العربي، فضلا عن دورها التجاري[١] في المواصلات العالمية بين الشرق والغرب، اهتمام الروس[٢] ومنذ وقت مبكر في منتصف القرن الخامس عشر، فقد عد"افاناس نيكيتن" اول روسي يزور مسقط، وهو تاجر من مدينة "طفير" الروسية القريبة من موسكو، وفي طريق عودته من الهند قام بزيارة مسقط عام ١٤٧١، وألف كتابا بعنوان (السفر وراء ثلاثة بحار) دون فيه ما شاهده من مظاهر المناخ والتجارة وبعض ما يتعلق بعادات الناس والاوضاع السياسية، ولفت انتباه التاجر الروسي الطقس الحار والماء الدافيء الذي وجده في مسقط خلال شهر ايار بالمقارنة مع طقس بلاده الذي يمتاز بالبرودة اغلب ايام السنة ، وكثيرا ما يترك العمانيون بضائعهم التجارية والممتلكات في شوارع مسقط دون حراسة بدلا من الدكاكين والمخازن، كما توجد مناجم الرصاص حول مدينة مسقط، ومزارع كثيرة للقمح والذرة والتمر والعنب فيها[٣].

ونظرا لمكانة مسقط التجارية وقربها الجغرافي في الطريق البحري المؤدي الى روسيا بالمقارنة مع مدن الخليج العربي الاخرى، اذ تذكر المصادر التاريخية ان المسافة بين عاصمة الامبراطورية الروسية في سان بطرسبرج وميناء مسقط في عمان ليست كبيرة للغاية كما يبدو ولا تزيد عن المسافة بين لندن في بريطانيا وكلكتا في الهند، فكان ذلك عاملا مشجعا في تردد السفن الروسية على ميناءها والقادمة من الهند وشرق افريقيا، فضلا عن معرفة سكانها باتجاهات الرياح المؤثرة على حركة السفن ، واهم الطرق التجارية، حتى وصفت السفن المسقطية التي كانت محملة بانواع البضائع بانها كانت تجوب مياه بحر العرب متجهة الى الهند وشرق افريقيا، واحتفاظهم بعلاقات تجارية مع مدن الخليج العربي المجاورة[٤]، وهذه الامور استرعت انتباه الحكومة الروسية وتجارها ،

فاوفدت الى مسقط وغيرها من مواني‌ء المنطقة المبعوثين من بحارة وعلماء طبيعة وتجارا بهدف ان يكون لروسيا نفوذ هناك، حصل ذلك في الربع الاول من القرن العشرين، وعكس تلك الطموحات "سيرفير" المبعوث الروسي الذي زار مسقط عام ١٨٢٤في تقريره المؤرخ في ايار ١٨٢٤ والذي قدمه الى الامبراطور اليكساندر الاول (١٨٠١-١٨٢٥) المؤلف من (١٢) صفحة مع خريطة مفصلة لشبه الجزيرة العربية، تظهر فيها المناطق الشرقية بما فيها الاراضي الحالية لسلطنة عمان، وتمثلت مبرراته بالدعوة الى سيطرة روسيا على مسقط للاسباب الآتية[٥]:

١-يقع ميناء مسقط في شرق الجزيرة العربية وهي ليست بعيدة عن ملتقى الخليج العربي بخليج عمان.

٢-ان كافة السفن الحربية والتجارية الداخلة والمغادرة للخليج العربي تمر بمسقط وبجانب الساحل العماني.

٣-الدولة الاوربية التي تسيطر على سواحل عمان وميناء مسقط هي التي تسيطر على الوضع السياسي والاقتصادي.

ومع اطلالة القرن العشرين احتلت مسقط اهمية في المخططات الروسية الرامية الى ايجاد موطيء قدم لها في المنطقة، بسبب تزايد وظيفتها التجارية، لاسيما بعد ان ذاع صيت سكانها الذين عرفوا بمهارتهم في صناعة السفن[٦]، مما جعل مسقط مركز لصناعتها في الخليج العربي لدرجة اخذت الكويت والبحرين تشتري السفن منها، وتزامن ذلك مع اشتداد التنافس البريطاني[٧]- الروسي للسيطرة عليها، الامر الذي شكل عاملا مضافا في دفع الروس لارسال بعثات الى مسقط بغية اقامة تعاون تجاري بين الجانبين، وهو الامر اتضح في ايفاد الحكومة الروسية مطلع عام ١٩٠٠ السائح إس.ان. سيروماثيكوف" لاكتشاف امكانية قيام الروس بمشاريع تجارية وتوسيع التعاون القنصلي مع شيوخ المنطقة، وعقب عودته الى بلاده، قدم تقريرا تضمن ملاحظاته بشأن تلك الزيارة، ونورد في ادناه ما ذكره حول مسقط:" وهي بلد مترامي الاطراف في شرق الجزيرة العربية، ومساحته اكثر من (٨١،٠٠٠) ميل مربع وعدد سكانها حوالي مليون ونصف المليون نسمة في عام ١٩٠٠ وكان اجمالي المبيعات فيها بقيمة (٥) ملايين روبل[٨] في عامي ١٩٠١-١٩٠٢، والواردات بقيمة (٤،٢٥٨،٨٠٠) روبل، والصادرات بقيمة (١،٣٤،٠٠٠) روبل، والايرادات من الجمرك (٢٠٠،٠٠٠) روبل"[٩].

من جانب آخر استمرت التجارة تشكل العمود الفقري للنشاط الاقتصادي لسكان مسقط ومنذ فترات تأريخية سابقة، وكان حرص المسقطيون على ممارستها احد الظواهر التي تميز بها تاريخ عمان(١٠)، وعلى وفق ما ذكرته الوثائق الروسية لعام ١٩٠٠، فقد قدرت حجم تجارة السكر التي يتم تفريغها في ميناء مسقط في العام نفسه، استنادا على ما جاء في تقرير جي. في. اوفسينكو" القنصل العام الروسي في بوشهر على النحو الآتي:" حيث كانت في مسقط (١٢١،٢١٠) روبل...، ومن مسقط يتم توزيع السكر المستورد الى القرى والمدن في المناطق المجاورة، وكانت القيمة الاجمالية للسكر المستورد من بومباي الى مسقط (١١٨،٨٤٦) روبل"(١١).

شهد عام ١٩٠١ وصول السفينة "فارباخ" الى مسقط، وحصول لقاء بين ضباطها وحاكم مسقط، وجاء في وثائق الارشيف السياسي من تلك الزيارة ما يأتي:" رست فارباخ في ميناء مسقط في عام ١٩٠١، وتقابل ضباطها مع فيصل بن تركي (١٨٨٨-١٩١٣) سلطان عمان، ووصف قبطانها تبعية مسقط سياسيا وماليا لبريطانيا"(١٢).

على ان مسقط ظلت تستقبل السفن الروسية على اختلاف مهماتها، وقد اعطانا "كلاسنخ" احد طاقم السفينة "كورنيلوف" وصفا لميناءها وحركة التجارة فيه، حيث زيارته لها خلال المدة (٣ شباط-١١ ايار ١٩٠١) في السفرة الاولى للسفينة في السطور الآتية:" تقع مدينة مسقط على ساحل خليج صغير يتسع لارساء عدد قليل من السفن، ومرت باخرتنا بقلعة مسقط مزين بالعلم الروسي التجاري والعلم العماني على ساريتها...، وقد اكرمني صاحب الجلالة سلطان عمان بمنح فرصة لي رسميا لاقدم نفسي امامه واعرب عن ارتياحه بوجود سفينة روسية في الميناء وبامكان سلطنة مسقط ان تشارك روسيا في التجارة بصفة رئيسية في الخليج العربي"(١٣).

شهد العقد الاول من القرن العشرين وصول سفن روسية الى مسقط لاغراض تجارية لدورها المعروف في مدخل الخليج العربي، ففي آذار ١٩٠١ زارت السفينة "لازاروف" مسقط وهي محملة ببضائع مختلفة ، والعمل على ادامة انشاء الخط الملاحي بين روسيا ومسقط واليكم معلومات اودرتها المصادر الروسية عن وصف تلك الرحلة وهي الاولى الى ميناء مسقط ولقاء سلطانها:" وصلنا مسقط في ٣ مارس (آذار) ١٩٠١ في الساعة السابعة والنصف صباحا وفيها خليج صغير يكفي لعدد من السفن التي ترسو على بعد حوالي ربع ميل من الشاطيء...، فتشرفت بالسلام على سلطان مسقط الذي نظر

الى المشروع الجديد باستحسان، وتم رفع العلم الروسي لاول مرة على القلعة، تحمل السفينة شحنة على متنها (٧٥٠٠) علبة كيروسين، وبضائع روسية تقليدية كالفايريكات والاخشاب والسكر، اما الرحلة الثانية فتمت في آب ١٩٠١ حجم الشحنات على متنها اكبر بكثير من الاولى، وقابلها طراد بريطاني في ١٩ شباط ١٩٠٢ بطريقها واستجوب الطاقم وراجع اجاباته للتاكد من صحتها، واعتبر القيصر[١٤] (الروسي) ذلك خرقا لحقوق بلاده وتعطي انطباعا للسكان المحليين بان موافقة الانكليز مطلوبة للسفن الروسية لتزور الموانيء الخليجية"[١٥].

حظيت مسقط باهتمام الرحالة الروس الذين كانوا يترددون عليها في اثناء زياراتهم لمدن الخليج العربي وموانئه بوصفها محطة تجارية[١٦] للبضائع القادمة الى المناطق المجاورة، والمغادرة منها الى الشرق، لاسيما الهند وساحل شرق افريقيا وهي تؤدي وظيفة الموزع للبضائع القادمة إلى المناطق المجاورة، وفيها تجار من افريقيا والهند وغيرهم ، ومما يعزز ما ذهبنا إليه هو التقرير الذي بعثه "بوغايافلنسكي" المختص في علم الحيوان، وقد اوفدته جمعية هواة العلوم الطبية والانثروبولوجيا والاثنوغرافيا في جامعة موسكو لزيارة المنطقة في عامي (١٩٠١-١٩٠٢) ودون ملاحظاته عما شاهده التي كان يبعث بها الى القنصلية العامة الروسية في بوشهر اواخر نيسان ١٩٠٢، وجاء في تقريره ذات الصلة بموضوع البحث ما يأتي:" استقبل الروس بحفاوة من سلطان مسقط (فيصل بن تركي) الذي استمع بغبطة لبعض القطع الموسيقية من اداء جوقة السفينة...، واهدوا له ساعة موسيقية وطلب ارسال الموسيقى للسلطان"[١٧].

ويبدو ان ذلك الترحيب من سلطان مسقط بالروس جاء بسبب سياسة بريطانيا القائمة على التدخل في شؤون البلاد وعدم السماح لشيوخها في اقامة علاقات مع البلدان الاخرى، مما جعل سكانها وحكامها يشعرون بالتذمر من الضغوط البريطانية المستمرة، التي جعلت من بلدانهم تابعة للحكومة البريطانية، وهو الامر الذي يفسر لنا ترحيب الاهالي والحكام بالرحالة الروس الوافدين الى مسقط، ولاسيما بعد اتهام بريطانيا لفرنسا[١٨] بوصفها تروج لتجارة السلاح مما يعد تهديدا للمصالح البريطانية، وقد اعرب سلطان مسقط عن شكواه من خرق قباطنة السفن البريطانية الاعراف الدولية الذين يعتبرون انفسهم فوق القانون[١٩].

وهناك معلومات قيمة عن مسقط سلطت الضوء على بعض نواحي الحياة الاقتصادية فيها وردت في تقرير العميد البحري" رانشنستاين" قائد الطراد "اسكولد" الذي جاء الى مسقط موفدا من حكومته وسجل لنا ملاحظاته عن مسقط التي رست سفينته في ميناءها في ١٩ تشرين الثاني ١٩٠٢:" وهي مدينة رئيسة لسلطنة عمان، ان عدد الاوربيين في مسقط سبعة فقط، وهم قناصل كل من فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية واربعة تجار، وتبحر البواخر حاملة المسافرين والبضائع التجارية بصورة منتظمة من مسقط وتزور الموانئ الخليجية الاخرى...، وتوجد دكاكين كثيرة في المدينة، لكن لا يوجد اي فندق من درجة ملائمة للاوربيين، ويزود المقاولون السفن باللحم والدجاج والليمون والخيار والخبز والمياه المعدنية والمعلبات"(٢٠).

ومما زاد من الاهتمام الروسي في مسقط، هو تردد اسمها في العديد من المصادر الروسية المستقاة معلوماتها من بعثاتها التجارية والعلمية والقنصلية ذات المهمات المتعددة، ويعطينا المقترح الذي قدمه" اوفسينيكو" القنصل العام في بوشهر المؤرخ في ٤ كانون الثاني ١٩٠٤ الى وزارة الخارجية الروسية، مبينا آراءه في اهمية مسقط للمصالح الروسية على النحو الآتي:" تحظى مدينة مسقط باهمية سياسية واقتصادية فانها لا تعتبر مركزا تجاريا على الخط الساحلي للجزء الشرقي للجزيرة العربية فقط، ولكن على ساحل مهران الذي يتبع مسقط من الناحية الاقتصادية وان السفن التجارية الروسية لا يمكنها ان تمر بهذا الميناء البحري المتطور بصورة ظاهرة، اذ ان الملاحة الروسية لم تحظ برعاية المفوضية الروسية الرسمية حتى الآن، وقد حدد قباطنة السفن الحربية الروسية مسقط كافضل النقاط من جميع الاعتبارات بالمقارنة مع نقاط الخليج العربي الاخرى لاقامة مستودع للفحم الحجري والذي تكون السفن الحربية والتجارية الروسية الداخلة الى الخليج العربي في امس الحاجة إليه...، يجب تأسيس مفوضية سياسية روسية في مسقط اذ ما درسنا المسألة من وجهة نظر المصالح الوطنية من الشروط الثلاثة التالية:

١-اهمية موقع مسقط الجغرافي ودورها الاقتصادي في الخليج العربي وخليج عمان.

٢-نشاط الانجليز(٢١) في مسقط ذو الابعاد المغرضة والذي هو بلا شك موجه الى احتلال هذه الارض.

٣-وجود الامكانية الكاملة في ان نتصدى لنشاط الانجليز بالوسائل السلمية وبالتالي نضعف تأثيرهم في المنطقة من جهة، ومن اخرى نقيم العلاقات الاقتصادية بين بلاد فارس وروسيا.

وبالنسبة لما هو موضح في البنود الثلاثة السابقة تعتبر مدينة مسقط كما يلي:

١-تعتبر مدينة مسقط اهم النقاط الامامية على خليج عمان ، وفي الوقت نفسه تعتبر مركزا ملاحيا هاما لتجمع الملاحة الدولية في المحيط الهندي.

٢-وبصفتها عاصمة لسلطنة مسقط تعتبر المدينة اهم النقاط الجاذبة لكل السكان العرب من الواحات الداخلية المتعددة في الجزء الشرقي الجنوبي لجزيرة العرب.

٣-ومن ناحية البحر، لم تطور مسقط علاقاتها التجارية الدائمة مع اقرب جيرانها على الساحل الغربي لخليج عمان وسواحل الخليج العربي وكل جزرها والهند وبلوخستان ومهران فحسب، بل اقامت علاقات مع ابعد المواني‌ء في عدن وجدة وموانيء البحر الاحمر الاخرى، وكذلك مع مصر وحتى مع بعض موانيء اوربا الغربية وامريكا وآسيا الشرقية، واما من ناحية البر فتقوم مسقط بعملية التبادل التجاري المستمر مع كل الواحات الداخلية لجزيرة العرب الشرقية والجنوبية.

٤-تعتبر مسقط بحكم موقعها الجغرافي واهميتها كمركز تجاري ومركز جذب للعديد من ممثليات الحكومات والشعوب المختلفة من جهتي البحر والبر، وكذلك قد تستخدم مسقط من قبل مفوضية روسيا كمركز مراقبة جيدة على مجرى الحوادث السياسية والاقتصادية والتجارية.

٥-اولى الانجليز عناية كبيرة الى اهمية مسقط السياسية والاستراتيجية والتجارية منذ زمن طويل واستفادوا من ضعف الشيوخ الاصليين واعدوا الاساس لانتشارهم على كامل طول الساحل العربي.

٦- يجب علينا ان نوقف الآن وبالطرق السلمية استقرار الانجليز الذي يستمر دون ما رقيب بمسقط بالذات وعلى كل الساحل العربي للخليج العربي، والا فان ذلك الاستقرار قد يقيم لهم بلا شك قاعدة قريبة مريحة للتأثير الناتج على كل الساحل الفارسي الجنوبي المجاور لمسقط بما فيه الجزر(٢٢).

ويلاحظ من خلال ما تضمنته الرسائل المتبادلة بين القناصلة الروس وقباطنة السفن العاملة للشركة الروسية للملاحة والتجارة، اهمية مسقط كمركز تجاري للبضائع التي كان الروس يتاجرون بها مع مناطق الخليج العربي، والمعاملة الحسنة التي يلقونها من سلطان عمان (فيصل بن تركي) والاهالي، ومما يدلل على ذلك ما ورد في رسالة "نيقولاي باسك" القنصل الروسي العام في بوشهر الى "فينجير جينوفسكي" قبطان سفينة

"تروفور" التابعة للشركة المذكورة والمؤرخة في ٢٢ كانون الثاني ١٩٠٥ على النحو الآتي:" اتشرف ان اخبركم انه عند رحلة الاياب من الخليج العربي الى اوربا يجب عليكم ان تمروا بمسقط لاستلام الجمال مع اولائها على ظهر سفينتكم الموثوق بها لان صاحب السمو سلطان مسقط يبعثها عبر جدة الى مكة المكرمة"[٢٣].

وجاء في رسالة السيد " جوجير[٢٤] *Geogager*) الى القنصل العام الروسي في بوشهر "باسك" المؤرخة في ١٩٠٥/٣/٣ وكان ضمن افراد البعثة الروسية التي وصلت مسقط، ردا على رسالة بعثها الاخير الى الاول بتاريخ ١٩٠٥/٢/٢١ ما يأتي:

الى السيد القنصل المحترم

ارسلت بيد رسول محترم الى السيد فيصل (بن تركي) رسالتكم الموجهة إليه حيث حالت ظروف اقامة الحداد على اخيه في تسليمه الرسالة الشخصية، وقد قمت كذلك باضافة بعض الكلمات التي تعبر عن رغبتي بمقابلته شخصيا، وارسل لي السلطان احد اخوته حيث عبرت له عن عميق تعزيتي بوفاة اخيهم، وفي ١٩٠٥/٥/٣١ اخبرني السلطان من خلال رسوله بامكانية لقائه في اليوم التالي، حيث ذهبت لمقابلته الا انني فوجئت باتخاذ السلطان بعض التدابير الاحترازية وعلى سبيل المثال انه طلب من شقيقه وابنه الاكبر البقاء خلال مدة المقابلة التي امتدت لساعة واحدة، وقد حالت هذه التدابير بين مناقشة المواضيع الشخصية، واقتصرت المحادثة حول المواضيع العامة، وحسب رأي فان تصرف السلطان يمكن ان يعزى لسببين هامين: الاول: سبب شخصي يتعلق بوجود الوكلاء الانكليز الذين يحيطون بالسلطان بهدف تطبيق المعاهدة العمانية- البريطانية والموقعة عام ١٨٩١[٢٥]، ويتعلق السبب الثاني بالوضع السياسي العام، حيث انه بالرغم من كون السلطان شخصا اميا لا يجيد القراءة والكتابة، الا انه مفاوض ماهر بامكانه استغلال الوسائل للاتصال مع الانجليز وتقوية العلاقات معهم، فانه اذا ما حدثت وانتصرت روسيا في الحرب مع اليابان، بالرغم من ان كثير من دول اوربا الصديقة لروسيا تشكك في هذا الانتصار[٢٦]، فانه من الممكن ان يتحول موقف السلطان باتجاه اقامة علاقات افضل مع روسيا، اما فيما يخص بعلاقاتنا الخاصة مع السلطان فانني اعتقد بانها اصبحت طيبة بعد زيارتهم لمسقط في شهر يوليو (تموز) الماضي...، اخيرا تقبلوا احترامي العميق وتقديري"[٢٧].

ومما يستلفت النظر تبوأ مسقط مكانة خاصة بالنشاط الروسي في الخليج العربي بداية القرن العشرين، ومما يعزز ما ذهبنا إليه ورود اسم ميناءها في الاضبارات التي يضمها ارشيف الحكومة الروسية في سان بطرسبرج، الذي يحتوي على سجلات موثقة عن تجارة السفن الروسية القادمة من اوديسا على البحر الاسود الى مدن الخليج العربي خلال المدة بين القرن التاسع عشر وحتى عام ١٩١٧ التي شهدت سقوط النظام القيصري في روسيا وقيام الاتحاد السوفيتي، فقد بعث "اوفسينيكو" القنصل الروسي في البصرة تقريره الى ادارة الشركة الروسية للملاحة والتجارة في بطرسبرج ، يوضح فيه النشاط التجاري لعام ١٩٠٦ لاحدى سفن الشركة ننقل هنا بعضها ذات الصلة بموضوع البحث:

الوثيقة: الصفحة ٤٤-٤٥ من الاضبارة

النسخة غير اصلية"مصدق عليها"

١٠ايلول دخلت مسقط وافرغت (٢٨٨) صندوقا من حمولتها من بينها (٤٠) صندوقا من الاسلحة والرصاص، وتركت مسقط مساء نفس اليوم وحملت على متنها (٣) ركاب الى لنجة وبوشهر"[٢٨].

مقابل ذلك كشفت لنا دائرة الاحصاءات الخارجية التابعة لوزارة البحرية الروسية لعام ١٩٠٦ عن ورود اشارة الى دور مسقط التجاري في اثناء عرضها لأوجه التعامل بين روسيا ومواني الخليج العربي بقولها:" وتزور مسقط سنويا حوالي (٨٠٠) سفينة تجارية، كما توجد معادن فحم في جنوب مسقط"[٢٩].

يتضح لنا مما سبق وجود اهتمام روسي بمسقط لاعتبارات عدة، في مقدمتها اهمية موقعها الجغرافي للمصالح الروسية الناشئة في منطقة الخليج العربي، ورغبة روسيا بان تجعل من مسقط نقطة وثوب الى المناطق الاخرى، فضلا عن ذلك نلحظ تردد السفن الروسية على مسقط وهي محملة ببضائع متنوعة من مناطق الهند وشرق افريقيا، تتولى توزيعها مسقط احيانا ، وتستهلك الاخرى داخل المدن العمانية احيانا اخرى، لذلك نلمس تبوأ مسقط مكانة في المخططات الروسية الرامية الى ترسيخ مصالحها المتنامية هناك، وتزامن ذلك مع وجود منافسة مع بريطانيا صاحب النفوذ الاوفر في المنطقة، واستمر ذلك الامر حتى قيام الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤.

-الاستنتاجات:

يمكننا بيان الامور الآتية:

اولا: كشفت الوثائق الروسية المنشورة التي كانت تضم المراسلات بين القناصل والبحارة الروس والاوساط الحكومية والتجارية في سان بطرسبرج وموسكو، مدى الاهتمام بموقع مسقط الجغرافي الذي اعطاها دورا تجاريا ملحوظا في الخليج العربي والمحيط الهندي باتجاه الشرق، ولاسيما الهند، فضلا عن شرق افريقيا، الامر الذي كان عاملا ادى الى اطلاق الدعوات من جهات روسية الى ضرورة السيطرة على مسقط، بوصفها صمام الامان للمصالح الروسية في عموم المنطقة، مستندين اصحابها الى مبررات يرونها منطقية لتحقيق ذلك.

ثانيا: اتضح لنا من البحث طبيعة السياسة التي اتبعها سلاطين مسقط في التعامل مع الوافدين الروس في مواجهة ضغوط بريطانية للابقاء على انفرادها بالنفوذ في المنطقة، وهذه السياسة ابرزت حقيقة وجود رغبة لدى المسقطيين في محاولة التخلص من القيود البريطانية المفروضة على استقلال بلادهم، بموجب الاتفاقيات التي عقدت في سنوات متباينة مع الحكومة البريطانية، بدليل ما ذكرته المصادر الروسية بمدى الترحيب الذي لقيه الوافدين الروس الى مسقط من سلطانها ومن سكان المدينة، وبرهن على وجود سياسة حكيمة تستند على مبدأ الموازنة التي اتبعها سلطان مسقط، لاسيما فيصل بن تركي ازاء طبيعة التحدي الخارجي المفروض على بلاده، وهذه امور اكدت الدراسة على حقيقة وجودها على ارض الواقع.

ثالثا: هناك ارقام ذات صلة بطبيعة النشاط التجاري التي حظيت به مسقط عبر سنوات التاريخ الحديث، تجلى في احصائيات موثقة عن البضائع الواردة إليها والمصدرة منها الى مناطق الخليج العربي والبلدان الاخرى، وجدت في الارشيفات الروسية الحكومية، فضلا عما تضمه المراسلات التي كانت تجري بين القنصليات الروسية بالمنطقة، وموفديها من التجار والرحالة، والآخرين العاملين ضمت سفن الاسطول التابع للشركة الروسية للملاحة والتجارة، من سجلات قيمة، ستكون عونا للباحثين والدارسين الذي يرومون تناول الجوانب الاجتماعية والاقتصادية عن مسقط عبر سنوات ذلك التأريخ الممتليء باحداث سياسية وتطورات ذات علاقة بصلاتها الخارجية، واوضاعها الداخلية، وقد تمكن البحث الى حد ما في تسليط الضوء على بعضها التي صارت في متناول من يريد البحث في تاريخ عمان الحديث.

الهوامش

[١] – يعد ساحل عمان من اهم المراكز التجارية في الخليج العربي لما يحويه من موانيء تجارية لاستقبال التجارة الشرقية ، وفي مقدمتها مسقط وصحار وقلهات.
-*S. A, Aivinj; the Gulf States, London, 1981, P.23.*

[٢] – يرى بعض المؤرخون ان الشرق العربي هو امتداد لروسيا، والعكس صحيح، فروسيا كانت بحاجة الى العرب في مواجهة التهميش الذي كانت تتعرض له من قبل الغرب، وعرب الخليج كانوا بحاجة الى روسيا للحد من تبعيتهم للغرب والدولة العثمانية، وهم كانوا ينظرون الى الروس نظرة ايجابية ، تعكس انطباعا بانهم اكثر تسامحا واحتراما من البريطانيين والفرنسيين والعثمانيين. ناصر زيدان، دور روسيا في الشرق الاوسط وشمال افريقيا، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٣، ص٦٤.

[٣] – نقلا عن: سيرجي جريجوريف، عمان في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين من خلال الوثائق الموجودة في الارشيفات الرسمية لسان بطرسبرج، مجلة الوثيقة، مركز الوثائق التاريخية، البحرين، العدد الحادي والاربعون، السنة الحادية والعشرون، يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٢، ص١٥٥و ١٦٢.

[4] *- J.A. Saldana; Selections From State Paper Regarding the East India Company Connection with Arabian Gulf with A Summary of Events 1600-1800, Vol.I, Bombay , 1908, P.9-10.*

[٥] – نقلا عن: سيرجي جريجوريف، المصدر السابق، ص١٥٩–١٦١.

[6] *– Whigham, H.J; The Persian Proplem, London, 1903, P.95.*

[٧] – اكتسبت مسقط مكانة خاصة لدى بريطانيا منذ القرن السابع عشر، وكان ممثلوا شركة الهند الشرقية الانكليزية في بغداد والبصرة قد كتبوا في اواخر القرن الثامن عشر الى رئاسة الشركة مشيرين الى ان مسقط باتت تسيطر على تجارة الخليج العربي، وقد حث كل من هارفورد جونز وصموئيل ماينستي على اهمية تأسيس وكالة للشركة في مسقط.
-Thomas. R. Haghes,ed; Selections From the Records of the Bombay Government, Historicall and Other Information Connected with the Province of Oman, Muscat, Bahrain, and Other Places in the Persian"Arabian Gulf" (New series, No.xxiv), Bombay, 1850, P.18.

[٨] – الروبل: كان الدولار يساوي (٢٦،٥) روبل، وهو العملة الرسمية الروسية.

[٩] – نقلا عن: نيكولاي. ان.دياكوف، شبه الجزيرة العربية والخليج من خلال الوثائق والدوريات بسان بطرسبرج بداية القرن العشرين، مجلة الوثيقة، العدد السادس والاربعون، السنة الثالثة والعشرون، يوليو (تموز) ٢٠٠٤، ص٦٧–٦٨.

[١٠] – من الادلة التأريخية على ذلك ما تضمنه الاتفاق الذي وقع بين سلطان بن سيف (سلطان عمان) والحامية البرتغالية في مسقط عام ١٦٤٩ بعد استسلامها لليعاربة، بشروط وصفت بالقاسية على البرتغاليين، اهمها: السماح بمرور السفن العمانية في البحر دون تفتيش، ولا تجبى الضرائب على حمولتها.

-*Boxer, C.F; Some Aspects of the Struggle between the Omanis and the Portugess 1650-1730 (N.D), P.27.*

[١١] – نقلا عن: نيكولاي.ان. دياكوف، شبه الجزيرة العربية والخليج من خلال الوثائق والدوريات بسان بطرسبرج بداية القرن العشرين، ص١٧٠.

[١٢] – ارشيف سياسة روسيا الخارجية، ملف الارشيف السياسي، الاضبارة ٣٦٥، ص١٥–١٦، بلاغ اوفسينيكو في طهران بتاريخ ١٩٠٢/١/١١م رقم ٢، نقلا عن: سفن روسية في الخليج العربي ١٨٩٩–١٩٠٣، الناشر: ي، ريزفان، دار التقدم، موسكو، ١٩٩٠، ص١٧–١٨.

[١٣] – نقلا عن: سيرجي جريجوريف، المصدر السابق، ص١٦٩.

[١٤] – وهو القيصر نيقولا الثاني (١٨٩٤–١٩١٧).

[١٥] – نقلا عن: ميخائيل روديونوف، دول الخليج العربي في القاموس العرقي الروسي ، مجلة الوثيقة، العدد الثاني والخمسون، السنة السادسة والعشرون، يوليو (تموز) ٢٠٠٧، ص١٢٩–١٣٠.

[١٦] – اورد مايلز معلومات عن وصف مسقط مركزا تجاريا للخليج العربي والهند وشرق افريقيا والعراق، نتيجة تمتعها بمميزات تجارية واستراتيجية، جعلها مفتاح الخليج العربي على حد وصفه. س.ب. مايلز، الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة محمد امين عبد الله ، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٢، ص٣٧٥.

[١٧] – ارشيف سياسة روسيا الخارجية، ملف السفارة في القسطنطينية، الاضبارة ١٢٦٦، ص٣–١٦، بلاغ آداموف الى وزارة الخارجية بتاريخ ١٩٠٣/١/٨ رقم ١٩، نقلا عن: سفن روسية في الخليج العربي، ص٢٠–٢٣.

[١٨] – يرجع العداء البريطاني من النشاط الفرنسي في جذوره التأريخية الى النصف الاول من القرن الثامن عشر، بسبب اتساع التبادل التجاري بين مسقط وجزيرة فرنسا في المحيط الهندي، اذ كانت الجزيرة تصدر السكر والمنتجات الاخرى الى مسقط، وتستورد بالمقابل المنتجات الغذائية كالحبوب والملح والسمك والقهوة وتزايد ذلك العداء بعد وصول نابليون الى مصر ١٧٩٨.

-*Reginald Coupland; East Africa and its invandors, From the Earlies Times to the Death of Seyyid Said in 1850, Oxford, 1961 P.84.*

[١٩] – نقلا عن: نيكولاي .ان. دياكوف، المصدر السابق، ص٧٣–٧٦.

[٢٠] – سيرجي جريجوريف، المصدر السابق، ص١٧٢–١٧٣.

[٢١] – بعد توقيع بريطانيا عام ١٨٩١ على معاهدة الحماية مع سلطان مسقط، حصلت عام ١٩٠٣ من فيصل بن تركي بموجب اتفاق معه تضمن حظر تجارة الاسلحة التي تمثل جانبا هاما من تجارتها، ومع ذلك واصل البريطانيون ضغوطهم للحد من تجارة السلطنة بالسلاح التي اسفرت عن اعتراف دولي باطلاق يد البريطانيين في تجارتها والقضاء عليها. بدر الدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، جـ٢، منشورات ذات السلاسل، الكويت (د.ت)، ص٤٧.

[٢٢] – ارشيف السياسة الخارجية للامبراطورية الروسية في موسكو، الملفة ٢١٠، القنصلية في بوشهر (١٩٠١–١٩١٨) القائمة ٦٢٣، الاضبارة ١٥٦، الخليج العربي، الصفحات ٨٠–٨٧، تاريخ ٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٠٤، نقلا عن: الفيرافارخوفا، المراسلات الدبلوماسية والمراسلات الشخصية

المتعلقة بمسقط من خلال الوثائق التأريخية المتعلقة بارشيف السياسة الخارجية لامبراطورية روسيا في موسكو لعام ١٩٠٢-١٩٠٥، مجلة الوثيقة، العدد السادس والاربعون، السنة الثالثة والعشرون، يوليو (تموز)٢٠٠٤، ص١١٥-١١٧.

[٢٣] - ب.م.دانتسيغ، الرحالة الروس في الشرق الاوسط، ترجمة وتعليق معروف خزنه دار، وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٨١، ص٣٤٠.

[٢٤] - جوجير : احد العاملين في الشركة الروسية للملاحة والتجارة، وهو من اصل فرنسي ، ادى دورا في تجارة الاسلحة في منطقة الخليج العربي، متخذا من مسقط مركزا لتجارته، وبلغ من ثرائه انه اقرض سلطان مسقط اموالا من عوائد ارباحه التجارية، واقد اعلن مرارا ان بريطانيا لا تستطيع ان تتدخل في عملياته التجارية لانه يأتي بالسلاح الى مسقط في سفن تحمل العلم الفرنسي. فاضل محمد الحسيني، الصراع البريطاني- الفرنسي على تجارة الاسلحة في عمان١٩٠٠-١٩١٤، مجلة الوثيقة، العدد الحادي والاربعون، السنة الحادية والعشرون، يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٢، ص١٣٧.

[٢٥] - المعاهدة العمانية- البريطانية عام ١٨٩١: وهي معاهدة للصداقة والملاحة وقعت بين بريطانيا والسيد فيصل بن تركي، ويذكر الدكتور جمال زكريا قاسم ان بعض المصادر قد اكدت وجود نص رسمي يتضمن الحماية البريطانية على مسقط إلحق بالمعاهدة، وذكر اللورد كرزن نائب الملك في الهند عام ١٨٩٩ بشأن ذلك ما يأتي:" ان علاقتنا مع مسقط دامت اكثر من قرن من الزمان بحكم جوارها الهند وعلاقات التجارة والصداقة الوطيدة، واخيرا بمركز السلطان الذي ندفع له راتبا منذ خمسة وعشرون عاما. جمال زكريا قاسم، دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠-١٩١٤، دار البحوث العلمية، القاهرة، ١٩٧٤، ص١٢٢.

[٢٦] - كانت نتيجة الحرب خسارة روسيا لها وتوقيع معاهدة بورتسموث بينهما في ٥ ايلول ١٩٠٥، تضمنت الجلاء عن منشوريا واعتراف روسيا بحق حماية اليابان لكوريا. محمد قاسم، حسين حسني، تاريخ القرن التاسع عشر، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٤، ص٢٧٠.

[٢٧] - ارشيف السياسة الخارجية للامبراطورية الروسية في موسكو، الملفة ٢١٠، القنصلية في بوشهر ١٩٠١-١٩١٨م، القائمة ٦٢٣، الاضبارة ٤٢ مسقط، الكويت ، البحرين سنة ١٩٠٥، الصفحة ٥٦، تاريخ ٢٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٠٥، نقلا عن: الفيرافاراخوفا، المصدر السابق، ص١٢٠-١٢٤.

[٢٨] - الارشيف الروسي التاريخي في بطرسبرج، الملف رقم ١٠٧، القائمة رقم١، الاضبارة رقم ١٧٦٦ سنة ١٩٠٦م، رقم الختم: ٩٢٤، تاريخ الختم ٦ نيسان ١٩٠٧، ص٤٤-٤٥ من الاضبارة، نقلا عن: يافعة يوسف جميل، العلاقات التجارية بين روسيا والخليج العربي من خلال الوثائق التأريخية لعام ١٩٠٦-١٩١٤، مجلة الوثيقة، العدد الثاني والثلاثون، السنة السادسة عشر، يوليو (تموز) ١٩٩٧، ص١٤٢.

[٢٩] - اوليج، ردكين، وصف الخليج العربي للرحالة والبحارة الروس بين ١٨٩٧-١٩٠٦، مجلة الوثيقة، العدد الخامس والخمسون، السنة الثامنة والعشرون، يناير (كانون الثاني)٢٠٠٩، ص١٦٧.

المصادر والمراجع

١-الوثائق المنشورة:

- الارشيف الروسي التاريخي في بطرسبرج، الملف رقم ١٠٧، القائمة رقم١، الاضبارة رقم ١٧٦٦ سنة ١٩٠٦م، رقم الختم: ٩٢٤، تاريخ الختم ٦ نيسان ١٩٠٧، ص٤٤-٤٥ من الاضبارة، نقلا عن: يافعة يوسف جميل، العلاقات التجارية بين روسيا والخليج العربي من خلال الوثائق التأريخية لعام ١٩٠٦-١٩١٤، مجلة الوثيقة، العدد الثاني والثلاثون، السنة السادسة عشر، يوليو (تموز) ١٩٩٧.
- ارشيف السياسة الخارجية للامبراطورية الروسية في موسكو، الملفة ٢١٠، القنصلية في بوشهر (١٩٠١-١٩١٨) القائمة ٦٢٣، الاضبارة ١٥٦، الخليج العربي، الصفحات ٨٠-٨٧، تاريخ ٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٠٤، نقلا عن: الفيرافاراخوفا، المراسلات الدبلوماسية والمراسلات الشخصية المتعلقة بمسقط من خلال الوثائق التأريخية المتعلقة بارشيف السياسة الخارجية لامبراطورية روسيا في موسكو لعام ١٩٠٢-١٩٠٥، مجلة الوثيقة، العدد السادس والاربعون، السنة الثالثة والعشرون، يوليو (تموز)٢٠٠٤.
- ارشيف سياسة روسيا الخارجية، ملف الارشيف السياسي، الاضبارة ٣٦٥، ص١٥-١٦، بلاغ اوفسينيكو في طهران بتاريخ ١٩٠٢/١/١١م رقم ٢، نقلا عن: سفن روسية في الخليج العربي ١٨٩٩-١٩٠٣، الناشر: ي، ريزفان، دار التقدم، موسكو، ١٩٩٠.

٢-الكتب الوثائقية:

- *Haghes, R. Thomas,ed; Selections from the Records of the Bombay Government, Historical and Other Information Connected with the Province of Oman, Muscat, Bahrain, and Other Places in the Persian"Arabian Gulf" (New series, No.xxiv), Bombay, 1850.*
- *Saldanha ,J.A.; Selections From State paper Regarding the East India Company Connection with Arabian Gulf with A summary of Events 1600-1800, Vol.I, Bombay , 1908.*

٣-الكتب العربية والمعربة:

- الخصوصي، بدر الدين عباس ، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، جـــ٢، منشورات ذات السلاسل، الكويت (د.ت).

- دانتسيغ، ب.م، الرحالة الروس في الشرق الاوسط، ترجمة وتعليق معروف خزنه دار، وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٨١.
- زيدان، ناصر ، دور روسيا في الشرق الاوسط وشمال افريقيا، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٣.
- قاسم، جمال زكريا، دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠-١٩١٤، دار البحوث العلمية، القاهرة، ١٩٧٤.
- قاسم، محمد، حسين حسني، تأريخ القرن التاسع عشر، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٤.
- مايلز، س.ب. ، الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة محمد امين عبد الله ، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٢.

٤-الكتب الاجنبية:

- *Aivinj ,S. A,; the Gulf States, London, 1981.*
- *C.F, Boxer; Some Aspects of the Struggle between the Omanis and the Portugess 1650-1730 (N.D).*
- *Compland, Reginald, East Africa and its invandors, From the Earlies Time to the Death of Seyyid said in 1850, Oxford, 1961.*
- *H.J whigham; The Persian Proplem, London, 1903.*

٥-البحوث المنشورة:

- جريجوريف، سيرجي، عمان في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين من خلال الوثائق الموجودة في الارشيفات الرسمية لسان بطرسبرج، مجلة الوثيقة، مركز الوثائق التاريخية، البحرين، العدد الحادي والاربعون، السنة الحادية والعشرون، يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٢.
- الحسيني، فاضل محمد، الصراع البريطاني- الفرنسي على تجارة الاسلحة في عمان١٩٠٠-١٩١٤، مجلة الوثيقة، العدد الحادي والاربعون، السنة الحادية والعشرون، يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٢.
- دياكوف، نيكولاي. ان. ، شبه الجزيرة العربية والخليج من خلال الوثائق والدوريات بسان بطرسبرج بداية القرن العشرين، مجلة الوثيقة، العدد السادس والاربعون، السنة الثالثة والعشرون، يوليو (تموز) ٢٠٠٤.

- ردكين، اوليج، وصف الخليج العربي للرحالة والبحارة الروس بين ١٨٩٧-١٩٠٦، مجلة الوثيقة، العدد الخامس والخمسون، السنة الثامنة والعشرون، يناير (كانون الثاني)٢٠٠٩.
- روديونوف، ميخائيل، دول الخليج العربي في القاموس العرقي الروسي ، مجلة الوثيقة، العدد الثاني والخمسون، السنة السادسة والعشرون، يوليو (تموز) ٢٠٠٧.